

علم اللّغة التّطبيقي
ومناهج
تدريس اللّغات

الأستاذ / محمد بكار

La linguistique appliquée يعتبر علم اللّغة التطبيقي مجالاً مستقلاً من مجالات البحث، نقطة انطلاقه الوعي بالمشاكل التطبيقية في ميدان تدريس اللغات، وتحليل هذه المشاكل، ثم العمل على إيجاد الحلول التربوية الملائمة لها. ويستمد معارفه اللسانية وطرق البحث فيه ومناهجه من علم اللّغة العام، قصد تحديد الحلول الممكنة.

ورغم تعدد مجالات البحث فيه، فعلم اللّغة التطبيقي علم حديث، وهو بالإضافة إلى ذلك يحاول أن يجيب عن السؤالين التاليين المتعلقين بتعليم اللغات:

1- ماذا نعلم؟ - كيف نعلم؟

ومن أهمّ خصائص ومبادئ علم اللّغة التطبيقي ما يلي:

* البراجماتية (النفعية): حيث يعمل على تلبية الحاجات المترابطة، المتعلقة بتعليم اللغات، وخصوصاً لغات الاختصاص أو ما يسمى باللغات الوظيفية المتخصصة كالعاملات التجارية، البنوك والمصارف المالية، الطب، الصحافة التكنولوجية المتقدمة.

** الانتقائية: بما أن علم اللّغة التطبيقي يهتم أساساً بتعليم اللغات، فإن التدريس يعني الاختيار والانتقاء، إذا فعلم اللّغة التطبيقي يقوم بعمليات اختيار وظيفية، على ضوء معايير النجاح والاقتصادية والمردودية.

*** الفعالية: أهم مباحث علم اللّغة التطبيقي والأكثر نشاطاً هي تلك التي تنصب على إيجاد الوسائل التربوية الأكثر فعالية في تعلم لغات المنشأ واللغات الأجنبية. وذلك بانتقاء المضامين الوظيفية اللائمة، والتراكيب الأكثر تكراراً في الاستعمالات التواصلية ووضع المناهج المتكاملة، واختيار المناهج والطرائق الأكثر فعالية والملائمة للتدريس.

**** دراسة التداخلات اللغوية: ذلك لأن مناهج علم اللّغة التطبيقي الحديثة، لا تغفل عن تأثيرات لغة المنشأ في تعلم اللّغة الثانية أو اللغات الأجنبية، ولذا كانت الدراسات اللغوية المقارنة من أنشط المباحث في هذا العلم، وخصوصا في المجالين الصوتي والمعجمي ودراسة الأنظمة الصرفية والتركيبية وتبايناتها، وهذا يؤدي بصفة حتمية إلى دراسة وتحليل الأغلاط اللغوية التي تساعد على تحديد تمارين وتدريب تقويمية أو وقائية علاجية؛ تكيف حسب خصوصيات المجموعة المقصودة بالتعلم¹.

فميدان علم اللّغة التطبيقي الأساسي هو تعليم اللغات، وهو ميدان واسع أنجزت فيه عدة بحوث تتميز عما أنجز في مجال علم اللّغة العام بطابعها الوظيفي والتطبيقي. فعمل علم اللّغة التطبيقي يتمثل في تزويد مدرس اللّغة بالوسائل الناجعة والمناهج والتقنيات المناسبة لتعليم تلاميذه التكلم والقراءة والكتابة بلغة ما، وترسيخها لديهم حتى يتقنوها إتقاناً تاماً وتزويده كذلك بالتقنيات الملائمة قصد تسهيل رصد الصعوبات والاختلالات اللغوية التي تعوق تعلم التلميذ للغة الهدف، وتحول دون نموه وتطوره.

أ- علم اللّغة استي والمنهجان الوصفي والتعاقبي: تجدر الإشارة إلى أنّ علم اللّغة التطبيقي قد استفاد كثيرا من النهج الوصفي Synchronic الذي يعتمد إلى وصف اللّغة ودارستها خلال حقبة محدودة من تاريخ تطورها، ولا يلجأ عالم اللّغة التطبيقي إلى المنهج التعاقبي Diachronic إلا نادرا. وينصب الاهتمام على ربط المضامين والأفكار والمعجم والأسلوب بتطور اللّغة عبر مراحل تاريخية معينة.

وقد استفاد علم اللّغة التطبيقي من البنيوية بصفة عامة؛ حيث يتم وصف اللّغة كنظام متداخل ومتكامل على اعتبارها مجموعة مركبة من عناصر، تحدد في إطارها المكونات والعلاقات التركيبية. وهذه العناصر والمكونات في تسلسلها وتكاملها تجعل الأنظمة تتداخل والوظائف تتضام

¹ - المصطفى بن عبد الله بوشوك، تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها، بتصرف، ص: 34

وتتسق، وهي تتكون من مبادئ وصيغ لها معان صرفية على مستوى الكلمة، ومعان نحوية أو وظيفية على مستوى الجملة، ثم معان دلالية على مستوى المعجم تفهم من خلال الكلام وسياقه ومقامه. ذلك أنّ توليد الكلام في بناء منطقي متسق، يلعب دوراً أساسياً في عمليتي الفهم والتفاهم، والإرسال والاستقبال، والترميز، وفك الرموز². والواقع أنّ المنهج الوصفي كان دافعاً أساسياً لنشوء الاتجاهات الحديثة للسانيات الوصفية، كان له دور فعال في ظهور علم اللّغة التطبيقي وتطوره. ومن أهم مميزات الدراسات الوصفية الاعتماد على الملاحظة؛ ملاحظة الظواهر اللغوية في مرحلة من مراحل تطورها، يفترض أن تكون فيها اللّغة ثابتة، لأن التطور لا يلحق اللغات إلا ببطء شديد. ومن خلال نتائج الملاحظات يمكن وصف خصوصيات نسق اللّغة الملحوظة ومميزاته، مع إعطاء أهمية كبيرة لوصف اللّغة المنطوقة. لأنها أشمل من اللّغة المكتوبة، وأنها تشخيص حي للغة؛ ذلك لأن عملية فحص اللّغة المنطوقة هي التي تسمح بتحديد مختلف رموزها، حيث تكون مؤلفة نسقاً بنيوياً لكل اللّغة، يميّزها عن باقي اللغات.

فالبنوية نظرية لسانية قد أفادت كثيراً؛ التربية والتعليم بصفة عامة، وتعلم اللغات بصفة خاصة، وكمثال على ذلك تمارين البنوية التي لعبت دوراً كبيراً في استثمار القواعد اللغوية، وهذا رغم ما وجه إلى هذه التمارين من انتقادات.

ب- علاقة الدراسات اللسانية بالبحوث التربوية: إنّ أغلب مدرسي اللّغة العربية ولا سيما في أطوار التعليم الأساسي عندنا، لا يتوفرون على ثقافة لسانية كافية نظر للتجاهل الذي يقفه أغلبهم تجاه الدراسات اللسانية انطلاقاً من أنّ هذه الدراسات لن تفيدهم في أعمالهم. وفي المقابل نجد أن أغلب المنظرين اللسانيين لا يعيرون اهتماماً للجوانب التطبيقية والتعليمية في نظرياتهم وأهداف بحوثهم.

إنّ ما حققته الدراسات العربية القديمة في علوم اللّغة من نتائج علمية وتعليمية باهرة وما حققته أيضاً بحوث علم اللّغة التطبيقي من نتائج علمية، وما أسدته لمدرسي اللغات من خدمات جليلة، أمر لا يستهان به. والأكثر من هذا نجد بأن النتائج التي توصل إليها **Chomsky** تشومسكي نفسه في دراساته اللسانية الحديثة قد أفادت ميدان تعليم اللغات وتعلمها إفادة كبيرة، وتتجلى هذه الإفادات في مقومات نظريته التحويلية التوليدية مثل: البنية الباطنية **Underlying structure** البنية السطحية **Superficial structure** القدرة **Capacity**، والأداء **Performance** وكذلك الشأن بالنسبة لعملية التشجير.

وفيما يخص الباطنية والسطحية يمكن استثمارهما في دراسة القواعد اللغوية عند انتقاء عدد من الجمل، والعمل على تشريح علاقاتها التركيبية، والأنظمة الصرفية والنحوية والصوتية والدلالية التي تنبني عليها، ثم تحويل البنية الباطنية وتوليدها إلى عدد من البنيات السطحية. وفيها يتعلق بعملية التشجير يمكن أن تفيد في توضيح ضمام الأفعال وضمام الأسماء والصفات³، ثم الأدوات والضمام والظروف... ويمكن أن تفيد عملية التشجير في إبراز مواقع مباني التقسيم العربية، وتوضيح رتبة ووظيفة كل منها، كما يمكن أن تستثمر في تشخيص العلاقات الوظيفية التي تربط بين مكونات الجملة.

إلا أن المدرسين الذين يرغبون في الاستفادة من النظريات بطريقة مباشرة يتساءلون عن النظرية الأكثر مرونة وطواعية من غيرها في ميدان التدريس وأكثرها فائدة وقابلية ونجاعة واقتصادية في الميدان العملي الإجرائي. مع العلم أن هذه النظريات كثيرة ومتنوعة وتصل أحيانا إلى حد التناقض فيما بينها، الشيء الذي يجعل علماء اللّغة التطبيقيين ومدرسي اللّغة في حيرة، أية نظرية يتبعون وأيّ منهج يسلكون؟ يؤكد **Denis Gerard** دونيس جيرار⁴. على ثلاث أفكار أساسية، ونرى أنها تسمح بحل عدة مشاكل تعليمية في إطار المجال التطبيقي وهي:

1- يجب أن يفقه كل مدرس اللّغة، ويعلم بأنّه يعمل على تدريس اللّغة وظيفية استعمالها استعمالا صحيحا، ولا يعمل في ميدان اللسانيات؛ بحيث يجب أن يحفزه تعدد النظريات اللسانية على تطبيقها وتجريبها في التدريس حتى يكون هذا الأخير هو المحك المعياري والمنطلق وليس النظرية اللغوية في حد ذاتها.

2- لا يكون المدرس ملزما باتباع نظرية معينة، والالتزام بأسسها ومبادئها، عكس اللساني المنظر الذي يجد نفسه مضطرا إلى الاختيار. كما يمكن لدرس اللّغة أن يعتمد في عملية الانتقاء في عمله، وذلك بانتقاء كل ما يراه مفيدا في عملية التدريس بغض النظر عن الاختلافات النظرية؛ حيث يعتبر التنوع من العوامل الأساسية في كل عمل تربوي.

3- يتعامل المدرس مع عقول بشرية ، وطبيعة مهمته الأساسية سيكولوجية أكثر مما هي لسانية، فعليه ألا يطلب من اللسانيات إلا ما يمكنه أن تمنحه إياه، مع العلم أنّ هذه الأخيرة لا يمكن أن تمده إلا

⁴ - Linguistique appliquée Ed Armand Collin . Paris

بتوجيهات متواضعة، في حين سيكولوجية التعلّم يمكن أن تقيد أكثر، وخصوصاً فيما يتعلق بتسهيل النمو الطبيعي للتعلّم⁵.

ولذلك فإن علم اللّغة التطبيقي، سيتحول في مرحلة ثانية من تطوره، إلى ما يسمى بمناهج تعليم اللغات أو ديداكتيكا اللغات؛ حيث سيتم العمل على المزاوجة بين المعطيات اللسانية ومعطيات سيكولوجية التعلّم، والطرائق الخاصة في التدريس. نظراً لاقتران الباحثين في مجال التربية والتعليم بأن ميدانهم يتطلب الاستعادة من مشارب مختلفة وليس فقط الاقتصار على الدراسات اللسانية الصرفي. وعليه يجب عليهم الاستعانة باللسانيات، واللسانيات التطبيقية مثل السيكلولسانية والسوسيولسانية وعلم ديداكتيكا اللغات والثقافات وسيكولوجية التعلّم.

ديداكتيكا اللغات: يمكن تلخيص مباحث ديداكتيكا اللغات فيما يلي.

1- الدراسات اللسانية : على أساس أن تنتقى منها النتائج المفيدة في الميدان التعليمي وخصوصاً منها الدراسات التي أنجزت حول نسق اللّغة الهدف، وحول التداخلات اللغوية المتفاعلة معها، والمؤثرة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في بنيتها.

2- انتقاء المناهج: ويتجلى ذلك في اختيار الأدوات والتقنيات الديداكتيكية وتسخيرها قصد تنمية التعلّم وحل مشاكله والتغلّب على صعوباته وعوائقه. ينبغي أن نؤكد هنا على مسألة هامة يجب أن ينتبه إليها الباحثون والمدرسون والممارسون على السواء، وهي عدم الاعتماد على منهجية أو استراتيجية أو طريقة واحدة في التدريس أو الميل إلى تقييم وجبات أو وصفات جاهزة، تصلح لكل مستوى ولكل موقف من مواقف التعليم والتعلّم. ذلك لأن العملية التعليمية عملية جد معقدة تتطلب تكويناً متعدد الجوانب والتخصصات، يستوعبها المدرس من أجل استثمارها حسب الظروف والملابسات التي يقوم فيها بمهمته، برود

فعل آلية تختار الأدوات التربوية والسيكولوجية واللسانية الملائمة في الظرف المناسب.

3— سيكولوجية التعلّم: لقد تبين للمتخصصين في ميدان التربية والتعليم بأن استعمال المناهج والتقنيات الحديثة حتى تلك التي تنبني على أسس لسانية متينة، لا يحقق في جميع الحالات الأهداف المتوقعة، كما لوحظ بأن إهمال أهم عنصر في العملية التعليمية، الذي هو التلميذ يؤدي إلى نتائج غير مرضية، في أغلب الأحوال لأن التفاعل في مواقف التعليم والتعلّم يجب أن يحدث بين المتعلّم والمدرس والمادة المدروسة باعتبار التعليم نواة هذا التفاعل.

وعليه تم إنجاز دراسات توصلت إلى نتائج تربوية وسيكوتربوية وسوسيو تربوية ذات أهمية خاصة في الميادين السيكلولسانية. حيث تصدت لبعض قضايا تعليم وتعلّم لغات المنشأ واللغات الأجنبية. وأسدت بذلك خدمات جليلة للمدرسين، بتسليطها الضوء على مراحل النمو النفسي والعقلي للتلميذ وتقدم نمو استعداداته الاستيعابية، وكذلك بدراستها لقضايا الإدراك والذاكرة، والقدرة التجريدية والتعميمية والإبداعية لدى المتعلم. كما أفادت المدرس في معرفة الدوافع والحوافز، تنمية الاهتمامات والميول ودور التدعيم والأنشطة السيكلوحركية في نمو المتعلم وتقدمه⁶، هذا بالإضافة إلى دراسة قضايا أخرى كالحالات المرضية والمعوقات النفسية، ودور المسن في تعلم اللّغة، ونمو القدرة التأملية والإبداعية.

كما لا يخفى على كل مهتم وممارس الدور الحاسم الذي تلعبه الدوافع والبواعث في التعلّم، وهو مجال خصب للدراسات السيكلوتربوية والسيكلولسانية، يهدف إلى حل مشاكل أساسية في اكتساب الملكات اللغوية. وهذا ما يجعل الحاجات اللسانية للتلميذ ومدى تقدمه في تلبية هذه الحاجات مرتبطة ارتباطاً وظيفياً بالحاجات النفسية التي تؤلف مجتمعه تركيبية خاصة من الدوافع والبواعث.

⁶ - المصطفى بن عبد الله بوشوك، تعليم وتعلّم اللّغة العربية وثقافتها ص: 41

ومن جهة أخرى، يظهر بأن اعتماد منهجية من مناهج دراسة الأغلاط اللغوية (تصنيفها وتحليلها وربطه بالواقع اللساني الاجتماعي النفسي للمتعلم والعمل على تشخيص الصعوبات والآفات الخاصة والعامّة) يعتبر من المنطلقات الأساسية التي تسهل الاhtداء إلى تحديد دقيق للأهداف اللغوية، تحديداً إجرائياً دقيقاً، وتساعد على انتقاء مناسب للإجراءات المنهجية والاستراتيجية، وللتقنيات والأدوات والوسائل الإنجازية والتقويمية قصد تحقيق أمثل للأهداف المتوخاة والمنشودة.

ت- علم اللّغة التطبيقي ومناهج التدريس: إن أهم المبادئ التي ينطلق منها علم اللّغة التطبيقي في ميدان تعليم اللغات تعتمد أساساً على نتائج البحوث اللسانية المعاصرة؛ حيث أصبح الاهتمام منصّباً على البحث في اللّغة المنطوقة، الشيء الذي أثبت على وجود اختلاف كبير بين نسقي اللّغة المنطوقة والمكتوبة. ومن هنا وجب الإلحاح على الانطلاق في التعليم والتعلّم من الجانب الشفهي للغة، وبذلك نكون قد اتّبعتنا النظام الطبيعي والتكويني والتعاقبي للغات نفسها؛ لأن اللغات تكون منطوقة قبل أن تصبح لغة مكتوبة.

ومن المبادئ الأساسية أيضاً نذكر الوظيفة التي تلعبها اللّغة كوسيلة للتواصل بين أفراد مجموعة بشرية معينة، ولا يمكن لأيّ مدرس للغة أن يحقق نمواً وتقدماً في مهارات التلاميذ اللغوية إلا إذا اعتمد التواصل كحاجة غريزية لدى التلاميذ واستثمره كحافز من الحوافز السيكوتربوية، أو بعبارة أدق السيكولسانية. بالإضافة إلى التأكيد على أنّ ممارسة الفرد واستعماله للغة ما يمس سلوكه ويبلوره من حيث المظاهر الفيزيولوجية والتصرفات التي يمكن ملاحظتها، نلاحظ الاهتمام ينصب أيضاً على الجهازين السمعي والنطقي، وعملية الفهم والإدراك ومكوناتها ووظائفها في اكتساب وتعلم اللّغة. وقد نتج عن هذا الاهتمام تأسيس مبادئ الطريقة السمعية النطقية.

ونجد بأن مبدأ الفصل بين الأنظمة اللغوية من النتائج التي توصلت إليها البحوث اللسانية المعاصرة في الغرب، وقد سبقتها إلى ذلك البحوث العربية القديمة، فأفادت بذلك مدرس اللغة العربية بعدم الخلط بين الأنظمة لتسهيل عملية التعلّم، وتجنّب الصعوبات الناتجة عن تداخلها أو إغفال بعضها. إلا أنّ تطبيق مثل هذه العطيات اللسانية الصرفية وغيرها يطرح عدة صعوبات، من أبرزها عملية انتقاء هذه النتائج واختيار أنسبها لحلّ المشاكل التعليمية المطروحة في بيئة معينة، لها شروطها وظروفها الخاصة، وعلى مجموعة متميزة من التلاميذ بمستواها التعليمي الخاص ودرجة قابليتها واهتمامها باللغة الهدف، ونوعية الأهداف والمهارات اللغوية التي يسعى المدرس إلى تحقيقها وترسيخها وتميئتها.

ويعتبر الاهتمام بالبحوث اللسانية الخاصة باللغة المستهدفة بالتعليم أكثر فائدة في هذا المجال من البحوث البنوية والتوليدية التحويلية العامة التي تنطبق على كل اللغات وعليه يحاول علم اللغة التطبيقي في تدريس اللغات الإجابة عن السؤال: ماذا ندرّس؟ أما السؤال: كيف ندرس؟ فتكمن الإجابة عنه في مناهج تعليم اللغات، وحينئذ يحاول علم اللغة التطبيقي الربط بين الدراسات اللسانية التي تهتم بالنشاط اللغوي وآلياته، في الوقت الذي تهتم المناهج التعليمية بتشخيص هذا النشاط وإدكائه.

وقبل محاولة الإجابة عن هذين السؤالين المتعلقين بمادة التدريس ومسائله وتقنياته يجب التعرف على الشروط البيئية الخاصة التي يتم فيها التدريس، وكذلك على ظروف التلميذ الخاصة بمؤهلاته الذاتية.

1 * أشهر مناهج التدريس في علم اللغة التطبيقي: لقد مرت مناهج تعليم اللغات بمراحل متعددة، ابتدأت بالطرائق التقليدية كطريقة النحو والترجمة، والطريقة المباشرة ثم الطريقة السمعية النطقية، واستنبطت بعد ذلك تباعا طرق ومناهج تعتمد على ما استحدثت من اكتشافات تكنولوجية والكترونية. وهكذا تأسست طريقة تعليم اللغات بالوسائل السمعية البصرية، ابتداء باستثمار آلة التسجيل الصوتي ومخبر اللغات

القديم وعرض الصور الشفافة، والورق الشفاف بواسطة عارض الصور والمشط العاكس و **gluigua Sova** في تصحيح النطق، آلة الفيديو وما فتحه من مجالات واسعة في استنباط طرق جديدة لتعليم اللغات، ثم انتهاء بالاستثمارات التي أتاحتها الحاسوب في الدرس اللغوي أخيراً.

فعلم اللّغة التطبيقي يميز في مباحثه بين نوعين مختلفين من المناهج والطرائق التي يقترحها في- تعليم اللغات:

— مناهج تعليم اللغات الأصلية.

— مناهج وطرائق تعليم اللغات الأجنبية الأولى والثانية إلخ... التي لم ينشأ عليها الطفل في بيئته التعليمية الأولى.

وإذا ألقينا نظرة تاريخية خاطفة على علم اللّغة التطبيقي نجده قد ابتكر تباعاً عدة مناهج وطرائق لتعليم اللغات، سنتطرق إلى بعضها بشيء من الإيجاز:

- طريقة النحو والترجمة: وتنتمي هذه الطريقة إلى ما يسمى بالطرائق التقليدية وتعتمد على الوثائق المكتوبة كمنطلق لتعليم اللغات. وعليه كان التركيز منصبا على الكتابة والقراءة، مع استعمال المنهج التاريخي في البحث المعجمي والنحوي، نظراً لأهمية التحليل التاريخي بالنسبة لتعليم اللغات القديمة. أما فقه اللّغة فكان دوره ينحصر في الفهم الجيد للنصوص القديمة، وتوضيح معاني ودلالات الفقرات التي تتضمنها النصوص، كما كان يولي أهمية كبرى لصورة الكتابة مع الاعتماد على مقارنة لغة قديمة بلغة حديثة. وكانت الترجمة وسيلة الدرسين في تقريب لغة أجنبية إلى أذهان المتعلمين. هذا بالإضافة إلى تلقينهم القواعد النحوية من أجل حفظها عن ظهر قلب.

هذه الطريقة تشبه كثيراً، في معظم جوانبها، الطريقة التي كان يستعملها شيوخ وفقهاء الكتاتيب والجامعات الإسلامية كالأزهر والزيتونة والقرويين، خصوصاً فيما يتعلق بالكتابة والقواعد النحوية

والحفظ عن ظهر قلب، وكذلك الاهتمام بالشروح والهوامش والتعقيبات التي كانت تنجز بطريقة إلقائية. ويمكن الاستفادة من بعض جوانب هذه الطريقة في تحليل النصوص المنتقاة من التراث العربي وذلك باعتماد المنهج التاريخي عند تحديد ظروف النص وشروط إنتاجه، وأثناء دراسات معطياته المعجمية والدلالية أو بصفة أخص عند شرح المفردات المهجورة اعتمادا على الفصحى المعاصرة.

أما مسألة الترجمة، فخضعت لنقاشات حادة بين الباحثين والمربين، فمنهم من يرى أنها ضرورية في أقسام تدريس اللغات الأجنبية لتحقيق الفهم، خاصة في المستويات الأولى. ومنهم من يرى أن الترجمة تعوق تعلم التلميذ وتعرقل تقدمه في اكتساب اللغة الهدف، وذلك انطلاقا من الفرضية اللسانية القائلة بأن لكل لغة نظاما خاصا يختلف من أنساق باقي اللغات الأخرى. واللجوء إلى الترجمة يجعلنا نقحم نظاما لغويا خاصا في نظام مخالف قد يحدث صعوبات لدى المتعلم ويضعف من الآفات والشوائب الناتجة عن التداخلات اللغوية.

وتتمثل مكونات هذه العملية التعليمية في هذه الطريقة التي تهدف إلى إكساب المتعلم معرفة قواعد النحو، لذلك تتميز المادة التعليمية بالتدرج في عرض القواعد. أما طريقة التدريس فإنها غالبا ما تكون عبارة عن خطوات من الأمثلة إلى القاعدة أو العكس. ويقتصر نشاط التعلّم على حفظ القواعد وتطبيقها⁷.

7- معجم علوم التربية: ملاحظات البيداغوجيا والديداكتيك، مجموعة من المؤلفين ط1. الرباط:

1994 دار الخطابى للطباعة والنشر، ص 202.

وتتمثل مأخذ هذه الطريقة⁸ في :

* إهمال الاستعمال الشفهي للغة.

** تهميش المعطيات السيكولوجية للمتعلم.

— الطريقة المباشرة: لقد تأسست هذه الطريقة كرد فعل ضد طريقة النحو والترجمة؛ التي كانت سائدة في ميدان تعليم اللغات. وقد انتشرت الطريقة المباشرة في أوروبا في وقت قصير، ثم انتقلت إلى أمريكا. وهي طريقة لاقت إقبالا كبيرا -آنذاك— وانتشرت في جميع الأنحاء على نطاق واسع. وأساس هذه الطريقة هو أن التعليم السليم لا يكتمل إلا بالاتصال مباشرة مع اللغة الهدف وهي مشخصة في مواقف مادية محسوسة، لأنه لا يكفي الاتصال مباشرة باللغة كي يتم تعلمها بل يجب أن توضع في تخطيط محكم تتضح فيه الأهداف والوسائل، وتتنظم في مقررات متدرجة تخصص لمستويات تصاعدية مختلفة.

ومن مبادئ هذه الطريقة أنه يمنع منعاً باتاً استعمال الدارجة أو أية لهجة أخرى أثناء تعليم الفصحى، وبذلك قضي على دور الترجمة نهائياً، فاعتمدت في ذلك على أقسام خاصة. ويعمد المدرس إلى الجمع بين الوسائل السمعية البصرية والحركات الميمية واستعمال الرسوم والصور، وكل الوسائل التوضيحية لتحقيق هدف الفهم، وشرح الكلمات وتفسير العبارات انطلاقاً من الفرضية اللسانية القائلة بأن الترجمة تعطل نمو تعلم اللغة الهدف وتخلق صعوبات واختلالات يصعب علاجها. ويلاحظ أن هذه الطريقة كانت رائدة في استعمال الوسائل السمعية البصرية كبديل لعملية الترجمة.

أما بالنسبة لقواعد النحو، فقد عمدت الطريقة المباشرة إلى تعويض حفظها عن ظهر قلب، بالاتصال مباشرة باللغة، والتدريب على استعمالها استعمالاً سليماً بالنطق والممارسة وتنشيط عملية التواصل.

- الطريقة السمعية النطقية: تأسست هذه الطريقة في الولايات المتحدة الأمريكية في إطار الاستراتيجية العسكرية الأمريكية تلبية لحاجات الجيش الأمريكي الذي يرسل إلى أوروبا وآسيا. ومان الهدف منها تكوين لغويًا سريعًا في تأدية اللغات الأجنبية، اعتمادًا على الطريقة السمعية النطقية، وقد عمل Bloomfield بلومفيلد على إنجاز هذا المشروع، وشارك في المشروع العلمي اللغوي حول تعميم اللغات الأجنبية بمؤلف (مشروع دليل في الدراسة التطبيقية للغات الأجنبية).

وتتلخص مبادئ وأسس الطريقة السمعية النطقية فيما يلي:

● اللغة أولاً وقبل كل شيء هي تكلم وتعود على النطق

** السمع قبل الكلام، والكلام قبل القراءة قبل الكتابة

*** اللغة هي ما يتكلم به الناطق الأصلي

واعتمادًا على هذه المبادئ والأسس تستعمل البنيات المستخرجة من الاستعمال اللغوي نفسه لاستقراء واستنباط القواعد، بدل عرض الضوابط النحوية الجاهزة بطريقة تلقينية إلقائية، تليها تمارين قد لا تفيد في شيء

*** اللغات يختلف بعضها عن بعض فكل لغة نظام مستقل يختلف عن غيره ولهذا تستبعد الترجمة.

**** اللغة عبارة عن عادات يكتسبها الطفل أو المتعلم عن طريق التعود والممارسة والتمرين، ويحصل التعود اعتمادًا على المقولة السلوكية المتجالية في العناصر التالية:

المثير (الحافز)، الاستجابة (رد الفعل)، التعزيز (التدعيم)، وتظهر هذه العناصر لدى التلاميذ أثناء حدوث الفعل التعليمي على شكل سلوكيات نفسية وفطرية

فالطريقة السمعية النطقية كانت وليدة المدرسة السلوكية التي ظهرت في البداية على شكل المذهب النفسي، ثم ابثق عنه اتجاه لغوي أمريكي، يمكن أن نستشفه من كتابات بلموفليد المتأثر بمذهب واطسن، واضع أسس المذهب السلوكي انطلاقاً من عدة تجارب واختبارات قام في مجال السلوكيات الحيوانية وفي ميدان سيكولوجيا الأطفال. وقد وضخ بلموفليد اتجاهه اللغوي متأثراً بالبنوية والسلوكية في أن واحد، حيث قام بتحليل عملية التواصل انطلاقاً من التعاقب الزمني للأحداث وهي:

* مرحلة الأحداث السابقة للكلام، وهي ما يسميه السلوكيين بالحافز/ وقد يكون مثيراً مادياً أو معنوياً، وقد يكون ذاتياً أو موضوعياً

** عملية الكلام المشخص في مواقف خاصة، يرى السلوكيون، بأنها استجابات خاصة للحوافز الدافعة للفرد كي ينشئ الكلام

*** أحداث تلي عملية الكلام، تتجلى في استجابة المخاطب، أو في رد فعله المناسب للموقف فتكون اللغة على هذا الأساس سلسلة من الاستجابات لحوافز.

وقد أضاف Skinner سكينر إلى هذا بأن اللغة مجموعة منسجمة من العادات السلوكية يكتسبها الفرد نتيجة التقليد والاستجابة للحوافز.

وجه تشومسكي انتقادات لهذه الطريقة من خلال انتقادات المدرسة السلوكية، ومن خلال انتقاد المنهجية التجريبية التي تعتمدها السلوكية والتي تعتبرها حجر الأساس بالنسبة لنظرية اكتساب اللغة عند السلوكيين، فانطلق من الفلسفة العقلانية التي تربط قضية اللغة

بالثقافة الإنسانية أو ما يسمى بنظرية المعرفة الإبداعية⁹. والتي ترى أن اللغة خاصة إنسانية؛ لأن الإنسان يتوفر على إمكانات فطرية تساعد على اكتساب اللغة واستعمالها ومن هنا يرفض المقولة التي تعتبر اللغة مجموعة عادات يكتسبها الإنسان انطلاقاً من المفهوم السلوكي للاكتساب، إذ يتساوى فيه الإنسان بالحيوان.

- طريقة التعليم بالوسائل السمعية البصرية: هي طريقة تعليم اللغات تطورت بفضل إدخال الأجهزة السمعية البصرية والمختبرات اللغوية والتكنولوجية إلى ميدان التربية. وأهدافها اكتساب مهارات التعبير الشفهي وإغناء الرصيد المعجمي عن طريق الاستعمال اللغوي، أما مقوماتها المنهجية فهي:

* تجزئة المتن اللغوي معجماً وتركيباً، والانطلاق من الجملة كوحدة أساسية في اكتساب اللغة.

** الاعتماد على التمارين اللغوية (الصرف والنحو) والمنهج الاستقرائي من الأمثلة إلى القاعدة.

*** التدريب على مهارات النطق وعلى الجانب الصوتي.

**** ملاحظة الظواهر اللغوية ومحاكاتها معجماً وتركيباً

***** استعمال الأجهزة والوسائل المساعدة.

***** التركيز في التقويم على التطبيق وإنتاج الجمل¹⁰.

Chomsky , Theorie de langage , theorie de ⁹

!apprentissage Ed : Seui'1. Paris 1979 p-5

¹⁰- معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، ص 188.

ويجمع جلّ الباحثين في ميدان التربية والتعليم على أنّ الوسائل السمعية البصرية لها فوائد كثيرة في نمو التعلم وتحقيق أهداف التعليم، وكذا في حلّ عدد من الصعوبات التعليمية، خصوصا في التعليم الابتدائي؛ حيث يتم التركيز على مهارة التمييز السمعي ونطق مخارج الحروف قصد تدريب المتعلم على تمييز القيم الخلافية لمخارج الحروف والتعود على نطقها نطقا سليما، وكذا الاهتمام بالتمارين البنوية مع محاولة إخضاع البنيات اللغوية للشروط المقامية اعتمادا على الصورة والصوت، وهكذا نجد بأنّ الوسائل

السمعية تسمح باستثمار العناصر اللغوية التي اكتسبها التلميذ واستعمالها استعمالا مقاميا مناسباً في خطابه الشخصي، كي يتحرر لسانه شيئا فشيئا من الاستعمالات المحصورة، لينتقل إلى مستوى التعبير العفوي السليقي؛ الغني بالوحدات المعجمية، المتنوع الدلالات والإحالات، ومن شأن هذا النمو في مهارة التكلم أن يؤدي إلى تطوير مهارة التعبير الكتابي، وتعتمد الصورة والصوت لإثارة وتنشيط هذه المهارة اللغوية.

وفي المراحل المتقدمة من تعليم اللّغة يشرع في التقليل من الصور العادية واختيار وسائل بصره أكثر غنى؛ الغرض منها تركيز الحمولة الدلالية المطابقة للموقف التعليمي المحدد سابقا، والتي تعكس جانب من ثقافة اللّغة المدرسة، وهكذا يشرع المدرس في إدماج نماذج ثقافية، مع اعتماد تسجيلات أكثر تنوعا، تمزج بين النصوص الحديثة والنصوص التراثية، تساعد التلميذ على استظهار تراكييب لغوية جديدة انطلاقا من نصوص منتقاة لهذا الغرض.

ويرى الدكتور تمام حسان أنّ الأشرطة المرئية والمسموعة هي أنسب الوسائل لواقع تدريس اللّغة، ذلك لأنّ هذه الأشرطة التي تحتوي على حوار بالفصحى من شأنها أن تخرج اللّغة العربية من المكتبات

والأقسام إلى الحياة الفصيحة النابضة ، لأن العين أبلغ من الأذن في التعليم¹¹.

- المنهجية البنيوية الكلية السعية البصرية - **Méthodologie Globale Audio-Visuell Structural**: نشأت هذه المنهجية انطلاقاً من بحوث لسانية ولغوية تطبيقية متعددة، تعتمد أساساً على الفرضية القائلة بأن الإنسان لا يدرك البنيات اللغوية مجزأة، وإنما **يدركها** بصفة كلية. وقد كانت نشأة البنيوية الكلية والسمعية البصرية بإنجلترا، ثم تطورت بظهور بحوث حول الفرنسية الأساسية والهدف منها تحديد الوحدات اللغوية الفرنسية الأكثر تداولاً وتردداً وتكراراً في الاستعمالات التواصلية الوظيفية، وذلك اعتماداً على بحوث ميدانية خاصة بلغة التداول اليومي، ثم إحصاء تكرار كل وحدة معجمية ونسبتها المئوية، والعمل على ترتيبها بواسطة الآلي انطلاقاً من هذه النسب¹².

وقد اتسع نطاق تداول هذه المنهجية خصوصاً عندما تبنت نتائج بحوث كوبرينا ونظرية حول التجربة الصوتية التي تمحضت عنها المنهجية اللفظية الإيقاعية في تصحيح النطق أخيراً. ومن المبادئ العامة لهذه المنهجية تدريب الجهاز السمع للمتعلم على إدراك القيم الخلافية للأصوات، ثم تدريب جهازه النطقي على إخراجها بطريقة بنوية كلية أولاً، قبل الرجوع إلى الثغرات الملحوظة والعمل على تصحيحها اعتماداً على المنهجية اللفظية الإيقاعية في تصحيح النطق. فالمنهجية لم

¹¹- من المحاضرة التي ألقاها الدكتور في ندوة نظمت بالمدرسة العليا للأساتذة.

الرباط: 1977.

¹²- لقد سبق الباحثون الإنجليز الفرنسيين في مثل هذه البحوث اللسانية الوظيفية

تتجاهل التعبير الكتابي ولكن وعيا بالصعوبات التي تطرحها الكتابة في أية لغة على المتعلم المبتدئ، يجب التمهّل في الشروع في التعامل مع النصوص المكتوبة وتدريب المتعلمين على التعبير الكتابي إلى أن يتمكنوا من التعبير الشفهي أولاً، ويتقدموا في اكتساب مهارات اعتبارها واضعوا هذه المنهجية من أولويات تعلّم اللّغة، ولا سيما إذا تعلق الأمر بتدريس اللّغة العربية. وتعطي هذه المنهجية الأسبقية للتعبير الشفهي، أمّا الكتابي فيأتي في مرحلة متأخرة يتم خلالها التركيز على تنشيط التفانيّة والإبداعية لدى التلميذ، باللجوء إلى خلق وضعيات ومواقف حقيقية أو شبه حقيقية، كإرسال برقية أو رسالة أو إلقاء خطبة¹³. وفي المستوى الثاني من التعبير الكتابي، يدرّب المتعلمون على تنظيم المعلومات التي يراد كتابتها، ابتداءً من الجملة أو الفقرة أو العنصر، وتتنوع التدريبات الكتابية وتختلف حسب مراحل التعليم والتعلم ومستوياته؛ وحسب اختلاف المواضيع والمواقف التعليمية الحية، وفي نفس الوقت يجب التركيز على تصحيح هذه التمارين والتدريبات حتى تتحقق الأهداف المتوخاة من ورائها.

ونلخص أهم أسس ومبادئ المنهجية الكلية البنوية السمعية البصرية فيما يلي:

- 1- إعطاء الأسبقية للمهارة الشفهية، لأنها بمثابة القاطرة التي تحرك المناهج الحديثة في تعليم وتعلّم اللغات.
- 2- التركيز على الأدوات التواصلية وتنميتها لدى التلميذ باللجوء إلى تحفيز النشاط الكلامي واللّغة الوظيفية الأساسية، ولا سيما ما يلبي حاجات المتعلّم المباشرة المرتبطة بالتعبيرات في إطار مواقف التعليم والتعلّم التي تشخص مواقف الحياة العامة.

¹³- المصطفى بن عبد الله بوشوك، تعليم وتعلّم اللّغة العربية وثقافتها، ص 57.

3- الاهتمام بتصحيح الجوانب الصوتية والاختلالات الملاحظة في المتعلم ونطقه لمخارج الحروف، ولا ينبغي أن ينصب اهتمام المدرس على تصحيح مخارج الحروف فقط؛ بل يجب أن يتعداه إلى التدريب على النبر والتنغيم والاسترسال والطلاقة في الكلام، ومسايرة مختلف المواقف الكلامية من حيث الإيقاع والتبئير

4_ إدماج النظام الإيقاعي الكلامي والتدريب المنطقي، ذلك لأن النشاط الكلامي يتطلب التوفر على قدرات لغوية متطورة، واستعمالها بطريقة عفوية ومن هذه القدرات، انتظام القدرة الإدراكية عند الاستقبال والقدرة النطقية عند الإرسال وانتظام هاتين القدرتين لا يتم إلا بتدريب سمع المتعلم على إدراك الأصوات المستهدفة بالتعلم لتسهيل عملية نطقها نطقاً صحيحاً، خصوصاً تلك الأصوات المنعدمة في النظام الصوتي للغة المنشأ. فما أحوج مدرس اللغة العربية إلى منهجية الإيقاع المنطقي والتصحيح الصوتي، لتمكين متعلم الفصحى من نظامها الصوتي المتنوع والثري، وإذا لم يتم الاهتمام بمعالجة مشاكل النطق وإدراك الأصوات منذ المرحلة الأولى من التعلم يمكن أن تنعكس هذه انعكاساً سلبياً على نمو التعليم والتعلم اهتم، ونحدث خلافاً عميقاً يصعب علاجه فيها بعد ولذلك تعتبر المراحل الأولى من تعلم اللغة، مراحل حاسمة في بناء أسس المملكة اللغوية.